

آخر الرواق

آخر الرواق

إبراهيم قاري

الطبعة الأولى 2020

الإيداع القانوني : 2366 - 2020

الترقيم الدولي (ISBN) : 978- 9931- 369- 90- 5



دار سؤال للنشر والتوزيع

55 شارع بلعيد قويدر

ص.ب 357 السانيا - وهران

البريد الإلكتروني: darsoual@hotmail.com

الهاتف: 799.85.73.73 (+213)

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه أو نقله أو استنساخه
بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناشر.

جميع الحقوق محفوظة

إبراهيم قاري

آخر الرداء

مجموعة قصصية



الإهداء

إلى أبي

أكبر مصدر إلهام

لتزقد روحك بسلام رحمك الله

إلى

من آمن بي وساندني

إلى

كل من خذلني

عرفاناً ومحبة

الشقة

دخلت مكّتي كي أبدأ يوم عمل روتيني
كسابق الأيام، جلست وشغلت الحاسوب، بعد
نصف ساعة دخل مدير المؤسسة...أغلق الباب
وبقي واقفا.. قال لي بنبرة حادة:
- اليوم آخر يوم عمل لك، خذ أشياءك في
المساء ولا تعد مجدداً.

خرج وأغلق وراءه الباب بقوة تاركا إياي
غارقاً وسط دهشتي...مرّ اليوم بصعوبة...حملت
كتبي وأغراضي في صندوق وخرجت...ذهبت
لشقتي بعدما اشترت وجبة العشاء...دخلت
ووضعت ما كان في يدي في المطبخ ثم ذهبت
إلى سريري...تمددت وأخذت في التفكير

- أين سأجد عملا الآن؟ وما به المدير ؟ أكيد
أن فتاة ما جاءت لتبحث عن عمل فضحّي
بي ليلقى إعجابها...لن أسامحه إن فعلها... غدا
سأبحث في حاسوبي عن عملٍ جديد..

غيرت ملابسني و تناولت عشاّي وذهبت لأنام.
لم أنم مثل تلك الليلة...تسع ساعات متواصلة...

أحسست بالحرية...أعددت القهوة وجلست أمام الحاسوب...بحثت مطولا عن فرص عمل، لم أجد إلا واحدة لكنها في ولاية أخرى تبعد عن ولايتي بثلاثمائة كيلومتر...ماذا أفعل ؟ لا يوجد حل آخر، راسلت الشركة فوافقوا وأعطوني مدة أسبوع كي أتنقل إلى تلك الولاية وأستقر فيها. تفقدت حسابي البريدي فوجدت فيه مبلغا يكفيني لكراء شقة لمدة سنتين...حمدت الله... بحثت عن شقق قريبة من مقر عملي الجديد للكراء...وجدت شقة تبعد خمس كيلومترات لكن لا بأس، سأخذها...اتصلت على الرقم الموجود بالإعلان...يرن الهاتف ..

- ألو...السلام عليكم رأيتم منشوركم حول الشقة وأريد كراءها.

صوت رجل عجوز: هل أنت متأكد؟

- نعم، لماذا؟

- لاشيء، متى ستأتي؟

- بعد ثلاثة أيام بإذن الله.

- حسنا إذا سنتصل بك لاحقا.

وأقفل الخط.

اتصلت بصديق لي يملك شاحنة خاصة بنقل
الأمّعة كي يساعدني واتفقنا على يوم بعد غد
ليأتي.. جهزت كل شيء...ذهبت بعد يومين عند
مالك الشقة كي أخبره...تفاجأ بخبر تنقلي فشرحت
له...تأسف لحالي ولم يشأ أن يقبض علي مبلغ
إيجار الشهر الأخير...شكرته وعدت إلى الشقة...
دخلت لأجد هاتفني يرن رقم مجهول ..

-...صوت أنفاس عميقة وثقيلة

- هل تؤكد الاستئجار؟ صوت العجوز صاحب
الشقة .

- وعليكم السلام، نعم.

- سأرسل لك إحداثيات المكان.

- نعم شكرا لك.

أقفل الخط...يبدو أنه لا يكثر الكلام...وصلتني
رسالة تضمنت الإحداثيات...سجلتها...بعد لحظات
اختفى الإعلان من الموقع...أتى صديقي وساعدني
في تحميل الأثاث في سيارته...كنا قد أنهينا بعد
ساعتين، كانت الساعة السادسة مساء عند
إقلاعنا...توقفنا في منتصف الطريق في مطعم كي
نتناول العشاء ثم نكمل المشوار...غسلت يدي

وجلست بينما كان صديقي يتوضأ...كان تلفاز
المطعم مشغلا على القناة الوطنية وكانت تبث
نشرة أخبار الثامنة...وقعت جريمة قتل شنيعة
في منطقة قريبة من مقر عملي الجديد...أتى
صديقي فوجد علامات القلق مرسومة على
وجهي.

- مابك ؟

- حدثت جريمة قتل.

- وأين المشكل، تحدث جرائم القتل دوما في
بلادنا أليس كذلك؟

- نعم لكنّ التي حدثت قرب مقر عملي
الجديد.

- لا تخف لم أعهدك جباناً هكذا.

أتى النادل بطبقي البطاطا المقلية والشواء
الذي طلبتهما لكلينا...

- كل ولا تفكر كثيرا..

قال لي صديقي.

أكلنا وعدنا إلى السيارة...كانت قد بدأت
قطرات المطر تهطل...شعرت بالتعب...أخبرت
صديقي أنني سأنام قليلا ثم أغمضت عيني.

أيقظني صديقي عند دخولنا الولاية فشغلت GPS على هاتفي وتوجهنا إلى مكان الشقة... كانت العمارة الوحيدة في الشارع... وجدنا رجلاً تجاوز سنه السبعين لا تجد شعرة في رأسه أو لحيته إلا ولونها أبيض جالساً عند باب العمارة... توقفنا ونزلت... كان هو العجوز صاحب الشقة... غريب أنه انتظرنا حتى هذا الوقت المتأخر... نظر إلي نظرة تشاؤم..

- تأخرتم كثيراً.

اعتذرت له، سلّمني المفتاح وأشار إلى الطابق الثالث على اليسار ثم ذهب. صعدت إلى الشقة كي أتفقدّها بينما بقي صديقي ينتظرني عند السيارة... كانت الشقة جميلة... نوافذ غرفة الجلوس تطلّ على منظر جميل وغرفة النوم تبدو مريحة... نظرت من نافذة المطبخ لأنادي على صديقي لكن لم أجده هناك... نزلت... في الدّرج رأيت شيئاً... أعيناً لامعة تحديق بي... اقتربت فإذا هي بومة... تعجبت فهي أول مرة أرى بومة في حياتي... طبعاً كنت أراها في الصور لكن في الحقيقة أول مرة... تذكرت صديقي... كان

نائماً في السيارة...أرهقه السفر الطويل. في الصباح
ساعدني على تجهيز الشقة...ثم ذهبنا إلى مقهى
في الشارع المجاور...جلسنا، شكرته وأخرجت
مبلغاً من المال كي أرّد له تعبهُ...أبي أن يقبضه..
- الله يهديك.

أخجلني بأخلاقه...عدت إلى الشقة وانطلق
صديقي عائداً، جلست في غرفة النوم، اليوم
سبت لا يوجد عمل، سأذهب لأتسوق قليلاً ثم
أعود. عند الباب لفت انتباهي صوت طرق
غريب...كأنه صوت باب يُفتح... أبواب الشقة
كلها مغلقة...فكرت أنه لابد أن يكون تأثير
القهوة فأنا مدمن عليها لحد الساعة...أغلقت
الباب وخرجت...الناس ينظرون إليّ بغرابة...ربما
لأنني جديد هنا...سيعتادون علي بعد أيام
قليلة، هذا ما ظننته.

ذهبت يوم غد إلى الشركة...استقبلني المدير...
كان شخصاً لطيفاً أفضل بكثير من مديري
السابق... دخلت مكبتي الجديد...وضعت
أغراضي ورتبتها وبدأت في العمل.

مرّت الأيام...أدركت أنني القاطن الوحيد في

تلك العمارة... ونظرة الناس الغريبة إليّ لم تتغير
مطلقاً... تعرفت على فتاة تعمل في المكتب
المقابل لي اسمها جميلة - اسم على مسمى -
ودودة وتحب عملها كثيراً... صرنا نخرج كل يوم
من العمل مع بعض... لكن لم نفكر مطلقاً في شيء
غير الصداقة. كانت ليلة باردة... كنت لا زلت
في العمل... تفقدت الساعة فوجدتها الثامنة...
لم أشعر بالوقت... كانت كل المكاتب مغلقة إلا
مكتب المدير... يبدو أنه لا يزال يعمل... طرقت
عليه الباب لأخبره أنني سأذهب... لم يجبني
فخرجت وذهبت إلى شقتي.

رأيت البومة مرة أخرى لكن من نافذة
غرفة الجلوس... حضّرت كأس قهوة وجلست على
أريكة مريحة تتوسط الغرفة. أتأمل البومة... كم
هي جميلة !

لم أشعر بنفسي حتى زارني النوم وأنا على
الأريكة... استيقظت صباحاً متأخراً... لبست ثيابي
بسرعة ونزلت... صمت غريب في الشارع... لا
يوجد أحد... دخلت مكبتي وأنا مستغرب... يسود
الصمت في المؤسسة كذلك... ذهبت لأسأل زميلتي

في مكتبها...لم أجدها...سألت عنها فأجابتنني إحدى
صديقاتها بأنها ماتت منذ ثلاث سنوات يعني
قبل أن أبدأ العمل هنا !!

- يا إلهي ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم
؟ أصبت بدوار عميق وسقطت مغميا علي.
أفقت بعد لحظات في مكثبي وزملاء العمل
حولى...أتى المدير...اعتذرت منه وخرجت، اقترح
أن يقوم بإيصالى فوافق.

- ما الذى حدث لك بنى؟

- ههه أظنى أرى الموتى.

نظر إالى باهتمام شديد ثم ابتسم، وصلنا إلى
العمارة...توقف وقال:

- اذهب وخذ قسطا من الراحة بنى ولا تفكر
فى أى شىء...نلتقى غدا.

اكتفيت بابتسامة باردة ونزلت من السيارة.

كان باب شقتى مفتوحا، دخلت ببطء لأجد
العجوز جالسا على الأريكة...نهض من مكانه
دون أن يلتفت إالىّ وغادر...لم أطق المبيت هناك
تلك الليلة...استأجرت غرفة فى فندق مجاور
لأمكث فيها...حاولت النوم لكن لم أستطع

فصورة زميلتي لا تغادر ذهني.. بصعوبة نمت
ساعتين.

ذهبت إلى عملي في الصباح لأجد المدير في
مكتبي، طلب مني الجلوس، جلست ثم بدأ
يتكلم بنبرة منخفضة.

- عرفت أن فيك شيئاً مميزاً منذ أن رأيتك،
ال بنت الذي رأيتها هي ابنتي..

نظرت إليه مستغرباً: هل يمزح معي أم هو
جاد ؟

أدرك استغرابي ثم أكمل..

- نعم، هي ابنتي الوحيدة، كانت تعمل في
ذلك المكتب الذي سألت عنه، كانت مُحبة
لعملها وجادة، ماتت منذ ثلاث سنوات،
وُجدت ميتة في مكتبها...لم نعرف السبب...كانت
تملك الشقة التي تقيم فيها الآن لكنها قامت
ببيعها قبل وفاتها بأسبوعين...فشل كل المحققين
في إيجاد حل لهذا اللغز.

نزع نظاراته ومسح دموعه...نظر إليّ كأنه
يعلق كل آماله علي..

- لكن ما علاقتي أنا بكل هذا ؟

- بعد سنة أتاني رجل عجوز طاعن في السن
إلى مكتبي... أخبرني بأنني سأعرف سبب وفاتها
عندما يأتي العامل الجديد وحين وصلني طلبك
عرفت أنك المقصود.

وضع يده اليسرى على كتفي الأيمن.
- بني، ساعدني وسأتنازل لك عن منصبي.
نهضت من مكاني: "أجيبك غدا" وخرجت
وأنا أفكر كيف سأساعده.

دخلت الشقة الملعونة...وقفت أنظر في
السقف وفي الأرض وفي كل مكان...جلست في مكاني
المعتاد أمام النافذة...نعم صرت لا أخاف...البومة
مختبئة بين ظلال الشجرة...فتحت النافذة
لعلها تدخل...شككت أن لها علاقة بما يحدث...
طرق الباب...فتحت...لا أحد...طبعاً فهذه شقة
مسكونة...اتصلت بالسيد العجوز...أجابتنني
ممرضة المستشفى أن حالته خطيرة وطلبت
مني الحضور لزيارته...دون تفكير قمت من
مكاني... واصلتني رسالة في هاتفي "لا تذهب"
والمرسل هي الفتاة...حُذِفَت الرسالة تلقائياً فور
قراءتي لها.

- حسنا سأساعد المدير.

دعاني المدير إلى منزله...وأراني زوجته...
ممددة على سرير ملتصقة بها أسلاك الأجهزة
الطبية...قال لي أنها لم تتحمل صدمة وفاة ابنتها
فشلت...ألقيت عليها السلام وقبّلت رأسها...
ابتسمت لي والدموع تملأ عينيها كأنها عرفت
أنني هنا من أجل ابنتها...يبدو أنه يحكي لها
كل تفاصيل يومه...جلسنا وحضر لي القهوة...سرد
علي قصة زواجه ووصف لي فرحتهما بإنجاب
البنت وحبهما لها وهو يتسم تارة ويبيكي تارة
أخرى...عرفتُ منه كل التفاصيل ..

- سنحل اللغز لا تقلق.

نظر إلي باطمئنان ثم أخرج من جيبه مفتاح
سيارته وأعطاني إياه.

- خذ سيارتي، أريد أن آخذ أسبوع راحة ولا
أخرج من المنزل، تعبت.

- شكرا لك.

- هذا أقل ما يمكنني فعله بني.

عدت إلى الشقة...وجدت العجوز جالسا وفي
يده البومة يمسح عليها

-إذاً، عرفت القصة أليس كذلك؟

تشجعت: بلى.

نهض من مكانه ونظر إلي... اهتز المكان
كأن زلزالاً قوياً يضرب الشارع... لم أتحرك من
مكاني...

- إذا أنت شجاع !!

بقيت صامتاً ومماسكت... فتحت البومة
جناحيها... فتحت كل أبواب الغرف دفعة واحدة
وأغلقت بقوة... أحسست شيئاً ما خلفي...
استدرت ببطء... البومة فاتحة جناحيها وتنظر
إلي... رفرفت بهما... وجدت نفسي عند مدخل
العمارة والعجوز أمامي يشير إلى شيء ما... تتبععت
ما يشير إليه... كان باباً أسود... مشيت إليه...
-توقف... ليس بعد.

صوت صديقي؟ ! هل يعقل أن يكون له
دخل في القصة؟ التفؤ لعلني أجده... لا أحد...
والعجوز اختفى... سمعت صوتاً خافتاً يأتي من
وراء الباب... اقتربت منه... وضعت أذني ببطء
لأسمع... صوت فتاة !! إنه صوتها... عرفتة رغم
أنه لا يكاد يسمع...

- هل أنت هنا؟
- أجابتنى بنبرة متقطعة تدلّ على خوف
- من أنت؟ وأين أنا؟
- عجزت عن الكلام...لم تعرفني...
- هل من أحد هنا !
- نعم...نعم ، أنا صديق والدك، أرسلني للبحث عنك.
- أبي ! هل تعرف أبي ؟ أرجوك أنقذني أرجوك....
- سأخرجك...لا تقلقي.
- سمعت صوت رفرقة خلفي...إنها البومة كانت قريبة جدا مني...فتحت جناحيها ونظرت إلي...
- وجدت نفسي في الشقة...تذكرت صوت صديقي...
- اتصلت به كي أتأكد...
- ألو جواد..
- أهلا صديقي كيف حالك، لم نتحدث منذ مدة.
- الحمد لله بخير...نعم منذ أن ساعدتني على الانتقال.
- أي انتقال ؟
- اتصلت بك وطلبت منك أن تساعدني على

التنقل من شقتي القديمة أليس كذلك؟
- لا يا أخي أنت تهذي...نحن لم نلتق منذ
أشهر...أثرت عليك أفلام الرعب فأنت
تشاهدها كثيراً.

نظرت لهاتفني وهلة...وبكل ما أوتيت من
قوة ضربته على الحائط...جلست في سريري...
هاتف يرن بجانبني...هاتفني...كيف؟؟ لا يهم...
المتصل هو المدير.

- كيف فعلت هذا بني؟

- فعلت ماذا؟

- زوجتي رأت جميلة، قالت أنها أتت لزيارتها،
تكلمت زوجتي لأول مرة منذ الوفاة!!
- وجدت بابا في العمارة، ههه أظن روحها
محبوسة خلفه.

- أرجوك بني أنقذها وسأبقى ممتنا لك.

- سأفعل..

العجوز واقف عند باب الغرفة ينظر إليّ.

- من أنت؟

سألته...ابتسم ولم يجبني...

- لا أظنك حقيقياً حتى..

ثار غاضباً ثم تمالك نفسه كما بدا لي...خرج
من الغرفة...لحقت به...الشقة خالية من الأثاث
إلا الأريكة التي كنت أجلس عليها والباب
مفتوح...عدت إلى غرفتي...لم أجد السرير...فهمت
أنه لا يريدني هنا...لم أعذر له حتى...خرجت...
تغير شكل العمارة...عرفت أنني في الجانب الآخر...
بحثت عن الباب الأسود سأفتحه وأخلص نفسي...
وجدته...فيه مكان لمفتاح...أين سأجد المفتاح
الآن...تذكرت مفتاحاً أعطتني إياه جميلة يوم
تناولنا الغداء مع بعض...

- إذاً هو مفتاح هذا الباب...فتحته...غرفة
مظلمة إلا جدار واحد عليه ضوء خافت...
- جميلة هل أنت هنا..

ناديت عليها...سمعت بكاء يأتي من أحد
الزوايا المظلمة...

- لا تخافي أتيت لإنقاذك..

ظهر ظل العجوز على الجدار ..

- ماذا تريد؟

أعدت قولها صارخا.

- ماذا تريد !

تحول ظله إلى ظل بومة... ثم سمعت رفرفة
أجنحتها من الزاوية التي أتى منها صوت البكاء...
تكاثرت التساؤلات بسرعة في دماغي... هاتفي في
جيبى... أنرت مصباحه... كل الزوايا فارغة... أغلق
الباب بقوة واختفى الهاتف من يدي... أصوات
طرق عالية ... تقترب مني الأصوات شيئاً فشيئاً
ثم الصمت... أكاد أسمع دقات قلبي بوضوح...
أسمع صوتاً ما... بعيد... ضربتني ريح قوية
طرحتني أرضاً... قمت من مكاني... الفتاة أمامي
جالسة تبكي... ذهبت إليها... "جميلة" نظرت إلي...
عانقتني..

- أخرجني من هنا أرجوك.

- سأفعل، تعالي معي.

مشينا خطوات معدودة... اصطدمت بالباب
الذي دخلت منه... أخفت ضحكتها... نظرت
إليها... كان مفتوحاً... خرجنا... وجدت نفسي أمام
باب العمارة... طلبت منها أن تنتظرنى في السيارة
بعدما فتحتها لها... صعدت إلى شقتي... عاد الأثاث
إلى مكانه ماعدا الأريكة... يبدو أنها أعجبت
العجوز فأخذها لعالمه... هنيئاً له الأريكة

المريحة... اتصلت بالمدير

- ألو، هي معي.

- هذا عظيم... أنتظر.

كاد المسكين ينط من الهاتف من كثرة
فرحه... وصلنا... كانت نائمة... أتى المدير... انهمرت
دموعه كالشلال وهو يراها... حملها وأدخلها
بيته... وضعها في غرفتها... ألقيت نظرة عليها... ثم
استأذنت بالذهاب...

- لا تذهب حتى تستيقظ، أريدها أن تراك..

احمر وجهي لكني وافقت... بعد ساعتين من
جلوسي مع المدير الغارق في السعادة نتبادل
أطراف الحديث سمعنا صوتها.

- أبي...

نظرنا إليها... كانت جميلة جداً كاسمها..

- تعالي ابنتي.

أتت وجلست.

- هذا فؤاد... هو من أنقذك.

- أنقذني من ماذا؟

نظر إلي المدير، أكيد هي لا تذكر شيئاً، أجبتها:

- اختطفك أحد المجرمين وهو في السجن

فبحشنا عنك أنا ووالدك كوني أعمل في شركته.

- إذاً أنت تعمل معي؟

- نعم ، في المكتب المقابل.

بدت كأنها تذكرت شيئاً...ابتسمت وشكرتني ..

- أمك تنتظرك لترك...هي مشتاقة لك.

قال والدها ومد يده لها...دخلنا غرفة أمها...

مدت يديها لها وأجهشت بالبكاء...

- أنا هنا أمي، لقد عدت.

لا أعلم لماذا أحس بشعور غريب...ثم فجأة

اختنقت الأم...هرعت إليها...ماتت...التفتت لأجد

المدير وبنته ومعهم العجوز ينظرون إلي...اقتربوا

مني ببطء...لم أستطع التحرك....

خميس سنوات

شقَّ هدوء اللَّيل صراخ مدوّ جعل كل سكان الحي يستيقظون فزعاً... لكن سرعان ما تلاشى فزعهم عند معرفتهم أن مصدر الصرخة هو ذاك المنزل... منزل في آخر الحي... يسكنه الزوجان غير السعيدين ريتشارد وسوزان دائماً الشجار... حملت الزوجة طفلها الرضيع جوناثان وخرجت وهي تهدد زوجها السكّير بالطلاق... وكعاداته لم يهتم لأنه يعلم أنها ستعود بعد يوم على الأكثر كما تفعل دائماً إثر كل شجار... ركبت سيارتها ذاهبة إلى بيت والديها... بدأ الرضيع بالبكاء فجأة... حاولت إسكاته فلم تستطع... تركته لحاله..

- سامحني صغيري، أمك ليست في حالة جيدة. شغلت موسيقى حزينة وبدأت تغني معها بصوتها الرقيق وهي تبكي... استيقظت من غفوتها... وجدت نفسها عند انحراف خطير نجت منه بأعجوبة بعد أن التفت السيارة

حول نفسها مرتين...توقفت...نظرت إلى المقعد
الخلفي للسيارة...لم تجد ابنها...أصابها فزع
شديد...أخذت تصرخ: أين ابني !

- انهض، ابنك مفقود..

وقعت العبارة كالصاعقة على زوجها النائم.
فقفز مستيقظا..

- ماذا قلت !

قالت وهي تذرف الدموع..

- ابننا مفقود يا ريتشارد..

- كيف حدث هذا ؟

حكى له ما حدث...وقف ريتشارد واضعاً يديه
على رأسه يفكر في طريقة لإيجاد ابنه المفقود
ثم نظر إلى سوزان..

- كل هذا بسببك !

- اسمع، لا أريد شجارا الآن وابني مفقود، يجب
أن نجده.

حاول أن يستعيد هدوءه وهو يرى الفزع في
وجهها...وضع راحة يده على ظهرها..

- حاولي استرجاع التفاصيل لعلك تتذكرين شيئاً
يدلنا على مكانه.

فجأة سمعت صوت أحد أبواب البيت...رفعت رأسها ونظرت جهة باب الغرفة.

- الصوت..

- أي صوت؟

لم تجبه...قامت من مكانها وذهبت ناحية الصوت دون أن تلقي بالا لزوجها الذي يناديها...
لحق بها...بحث في كل أرجاء المنزل ولم يجدها...
رنَّ هاتفه...كانت زوجته...

- أين أنت؟

أجاب وعلامات الفزع مرتسمة على وجهه
- لكن.. لكنك قبل قليل كُنْتُ..كنت هنا...

- هذا ليس وقت المزاح...تعال حالا أنا في الطريق رقم 26.

...

- ألو...هل تسمعي..

انقطع الاتصال ...

كانت سوزان جالسة داخل سيارتها حائرة في الذي يحدث وصوت المطر المرتطم بهيكل السيارة يضيف جوا من الحزن...ظهر ضوء مصباح يقترب ببطء من السيارة فتبين لها أنه

شرطي يقوم بدوريته المعتادة...فتحت نافذة السيارة..

- سيدتي هل أنت بخير؟

- نعم أنا بخير، فقط توقفت لأخذ قسطاً من الراحة.

وجه إليها مصباحه...فوجئ بالذي يراه...وجهها ملطخ بالدماء تحمل سكيناً في يدها...وضع يده على سلاحه.

- سيدتي أرجو منك التّرجل من السيارة ويديك فوق رأسك.

- أرجوك أتركني لحالي..

- سيدتي، أخشى أنني مُصّر.

فتح الباب...فجأة ظهرت من العدم شاحنة كبيرة آتية بسرعة عالية صدمت الشرطي ورمته بعيداً ثم اختفت في لمح البصر.

ريتشارد يصارع كيانه يجره إلى الخلف محاولاً الإفلات منه والوصول إلى زوجته...تلقى ضربة قوية على رأسه أفقدته الوعي...بعد عدة ساعات أفاق من الغيوبة...آثار الإرهاق والتعب بادية عليه...وجد نفسه أمام سيارة

زوجته...عبثَ برأسه الاستغرابُ لكنه قام
مسرعا إلى السيارة...وجد طفله نائما بأمان في
مقعده الخاص الموضوع على الكرسي الخلفية
وبجانبه مصباح يدوي مشتعل...تأكد من سلامة
ابنه ثم أخذ المصباح ومفتاح السيارة فأغلقها
بإحكام ثم شرع في البحث عن زوجته...بدأ
بالأماكن القريبة من السيارة...لم يجد شيئا...ثم
فجأة سمع صوت أنين امرأة...عرف فوراً أنها
زوجته...هرول إلى مكان الصوت...وجد شجرة
ضخمة وعالية جداً لا تكاد تُرى نهايتها...عاد
الصوت...اقترب من مصدره فلمح لفافة ألمنيوم
ملطخة بالدماء...فتحها فوجد داخلها صورة
لزوجته...أمعن النظر فيها ثم سأل نفسه: هل
هي محجوزة هنا؟ هل ما قالته جدتي صحيح؟
عادت به الذاكرة يوم كان صغيراً يلعب مع
أقربائه في حديقة منزل جدته...كانوا يلعبون
الغميضة...وكان دوره أن يختبئ ودور ابن خالته
إيجاد المختبئين...اختار ريتشارد مكاناً بين جدار
وشجرة ملتصقة فيه..بقي هناك دقائق حتى
لمح نافذة فوقه...صعد على غصن الشجرة

القريب من الأرض ثم نظر من خلال النافذة
ليجدها غرفة جدته...كانت تجلس هناك بهدوء
وتنظر إلى قلادتها..

- هاها وجدتك..

التفت ليجد ابن خالته قد وجده..

- إذاً إنه دوري الآن..

عادا إلى مكان العد فأغمض ريتشارد عينيه
واختبأ الآخرون...عاد فور إكماله العد إلى تلك
النافذة فلم يجد جدته ..

- ريتشارد، بني ماذا تفعل هنا ؟

التفت ليجد جدته..

- جدتي...نحن نلعب الغمضة..

- لكن الصغار ثلاثهم ينتظرونك..

- اجمع تبا، لقد نالوا مني..

ضحكت الجدة وغادرت إلى غرفتها...توجه
ريتشارد إلى البقية فضحكوا منه لأنه لا يجيد
اللعبة...حان وقت الغذاء...الجميع جالس في
الحديقة يأكل...نظر ريتشارد إلى جدته..

- جدتي ما سر تلك القلادة ؟

تغيرت ملامحها ووضعت يدها على قلادتها

المعلقة على رقبتها ثم سقطت منها دمعة خفيفة مسحها بهدوء ثم نظرت إليه بابتسامة رقيقة.

- لها قصة طويلة صغيري..

رفع كتفيه ثم أكمل غذائه.

في المساء كان جالسا في غرفة المعيشة يطالع قصة قصيرة...سمع طرقا خفيفا على الباب... دخلت جدته ثم جلست بجانبه بهدوء..

- ريتشارد بني..

- أهلا جدي..

- هل تريد أن تعرف قصة القلادة؟

- نعم جدي...أكيد احكي لي..

نزعت القلادة من رقبتها ثم فتحت إطارا صغيرا كانت فيه صورة...أخذت نفسا عميقا ثم قالت:

- هذه صورة جدك توماس...الوحيدة التي بقيت من ذكراه...أعطاها لي قبل موته.. أعلم أن هذا سيبدو لك غريبا.. لكنني أتواصل معه دائما عبر هذه القلادة وكثيرا ما يزورني..

نظر ريتشارد إلى جدته مذهولا وهو يظن أنها

بدأت تفقد عقلها فعرفت أنه لم يصدقها..
- أنت لا تصدقني أليس كذلك؟ ! طيب أنظر
إلى الباب..

نظر إلى الباب فإذا به يُفتح ببطء ويظهر
بجانبه ظل رجل بدا وكأنه يدخل إلى الغرفة..
فزع ريتشارد..

- صدقتك.. أرجوك توقفي..
ابتسمت جدته ونظرت إلى الظل فتلاشى شيئاً
فشيئاً.. فتحت يده ثم وضعت فيها القلادة..
- هي لك الآن بني..إن احتجت جدك إحمل
القلادة في يدك وفكر بأقصى قوتك أنك تريده
أن يحضر وسيفعل..

أفاق ريتشارد من ذكرياته...نزع القلادة من
رقبته ثم نظر إليها بأسى..
- يبدو أنه الحل الوحيد..

أغمض عينيه وفكر في جده بقوة.. فتحمها فإذا
به يجد طيفا لرجل عجوز ينظر إليه مبتسما
يحمل فانوسا تضيئه شمعته صغيرة مثبتة
داخله..

- جـ.. جدّي !

تحرك الطيف ببطء داخل الغابة وأشار
لريتشارد أن يتبعه...تبعه بخطوات مترددة إلى أن
وصلا إلى حفرة كبيرة طفا فوقها الطيف ثم
نزل إليها ببطء...أطل ريتشارد فوجد الطيف
ينظر إليه وهو واقف جانب مدخل كهف
يخرج منه ضوء غامض...نزل إليه...وقف فاعرا
فمه من الدهشة...رأى رواق منزله...انتابه خوف
كبير لكنه تشجّع ودخل إلى الرواق...توجه
مباشرة إلى غرفته...سوزان نائمة..أسرع إليها..

- سسسسوزان حبيبتى...هذه أنت؟

استيقظت من نومها وجلست على السرير..

- ريتشارد... أهلا عزيزي أين كنت انتظرتك
لكن غلبني التعب ومِت..

ريتشارد ينظر إلى سوزان غارقا في شعور اختلط
بين الفزع والدهشة غير مصدق لما تراه عيناه
جعله يتمنى أن يفيق من هذا الكابوس البشع..

- ريتشارد ما بك.. ريتشارد عزيزي ... ريتشارد؟

نظرت إليه سوزان بقلق وهو يتهأوى على
الأرض.

أفاقت سوزان في المستشفى، مستشفى الأمراض

العقلية، وقفت عند الباب تضرب فيه..

- أخرجوني من هنا !

تأتي الممرضة لتتكلم مع جوناثان ذي الخمس

سنوات وأبيه..

- صغيري...أمك لا تستطيع رؤيتك الآن..

يبدأ الصغير في البكاء، يحضنه والده.

- لا تقلق بني...سيأتي يوم وتراها فيه.

آفر الرواق

أشعل سيجارته، ارتشف القليل من قهوته
الباردة ثم رمى الكأس الورقي الفارغ، مشى
وسط الطريق دون انتباه لأبواق السيارات من
حوله، تتأقلت حركته، توقف ساكنا في مكانه،
خرج أحدهم من سيارته يوبخه، لم يلتفت
له وأكمل سكونه، حاول أن يعنّفه كي يلتفت
إليه لكن دون جدوى، ضرب بيده اليسرى على
صدره، لفت انتباه المارة بحركاته، فتوقفوا
يصورونه ويتفرجون عليه كأنه مشهد من فيلم
حزين، التفت بعدما سمع صوتا يعرفه يناديه،
ملحها تشق طريقها إليه بين المارة، هي تلك
الفتاة التي لطالما أحبّها، ابتسم وبدأ في التمايل
إلى أن سقط على الأرض وسط دهشة الجميع،
التف الناس حوله في محاولة إسعافه، وصلت
سيارة الإسعاف، فتح عينيه ببطء فوجدها
جالسة تراقبه في قلق، ابتسم وعاد إلى غيبوبته
في هدوء.

أيقظته ألحان إحدى قطع فرانز شوبرت الفنية التي يحبّها، نائم في إحدى غرف المستشفى قديم الطراز، استجمع قواه وتحرك ببطء ناحية الباب ليتتبع مركز الصوت، كل الغرف والأروقة فارغة مظلمة عدا تلك الغرفة في آخر الرواق والتي بدت أنها مصدر الموسيقى، بخطوات متثاقلة وصل إلى الغرفة ليجد الفتاة تعزف بمهارة، توقفت، نظرت إليه بحنان ثم مدّت يديها، فانساق إليها دون تفكير، ارتفعت في الهواء بفستانها الأبيض العتيق ورفعته معها، ثم همست في أذنه ببعض الكلمات وتركته ليسقط إلى سريره في مستشفى وسط المدينة فيستيقظ مفزوعاً، ظل يفكر فيها وينتظر زيارتها له مرة أخرى.

ذات ليلة، الكل نيام، الجو بارد، أروقة المستشفى خالية إلا من ممرضى المداومات الليلية، استأذنت إحدى الممرضات للذهاب إلى بيتها، غيّرت ثيابها، عند خروجها لمحت امرأة غريبة الشكل تنظر إلى غرفة من الغرف، قالت لها: "سيدتي الزيارة ممنوعة في هذا الوقت"،

لم تعرها انتباهاً، دخلت مسرعة، تبحث في كل
الغرف تكاد تفقد عقلها، آخر واحدة في الرواق،
تقترب ببطء، تنظر من خلال فتحة الباب
لتجده وتجد تلك الساحرة التي تشبهها معه،
تدفع الباب بقوة وتدخل، تلقي شيئاً من الماء
على الساحرة فتحترق في مكانها وتصير رماداً،
يستيقظ زوجها من غيبوبته، تحتضنه بقوة
تكاد تكسر ضلوعه.

- انتهى الأمر عزيزي، لن أتركك مجدداً..

- أعلم ...

إليك

إليك يا صديقي، أتذكر اليوم الذي التقينا فيه أول مرة، كنتَ صغيراً، كنا في منزل خالتك، جئتما لزيارتها أنت وأمك رغم أنك تكرهها، أردت اللعب معك لكنك لم ترد، كبرت أمام عيني، كنت أراك كل يوم، أتذكر يوم كنت مسافراً بسيارتك، ركبت معك، شغلت موسيقى لم تعجبك، حاولت إطفاء جهاز الراديو لكن لم أتركك، تشاجرنا ففقدت السيطرة على السيارة فاصطدمت بشجرة، لم يحدث لي شيء، كنت أراقبك وأنت مغمى عليك في سيارة الإسعاف، رأيتك لما أفقت في المستشفى وأسرتك حولك، أتذكر لما تخرجت من الجامعة ولما افتتحت شركتك، أتذكر لما تزوجت تلك الفتاة، كنت أغار منها، أتذكر لما أفلست بسبب أخذي كل النقود من خزانتي، أتذكر كيف جعلتك تشك في زوجتك فطلقتها، قمت بواجبي كما كُلفتُ به، كلفتني به تلك الساحرة صديقة خالتك، لكن

بقي لي أمر أخير، الوقت حان كي تراني، ستجد
هذه الرسالة تحت الباب، مكتوبة بدمائك التي
سرقها يوم الحادث واحتفظت بها، ولتجدها
سأقوم بإصدار الصوت الذي سمعته قبل قليل،
ستراني خلفك حين تنهي القراءة.
التفت ورآني...سقط ميتا...أتمت مهمتي
بنجاح.

البارادوڪس

سامي شاب في الثامنة عشر من عمره، شعره بني وعيناه بنيتان قائمتان، طويل القامة، محب للموسيقى، له أخت تصغره بعشر سنوات اسمها سلوى لها نفس لون عينيه ونفس لون شعره. يقود دراجته الهوائية وسط طريق في ناحيته أشجار متراسة فإذا به يحس بشخص ما يراقبه فيتوقف ليرى فلا يجد شيئاً...يرن هاتفه.

- آلو وي...أيا راني جاي ني قريب نوصل.

يضع السماعتين في أذنيه ويشغل موسيقى ويذهب إلى بيته أين يجد سلوى ووالديه عند السيارة، يضع الدراجة في مرآب المنزل ثم يركب معهم منطلقين إلى بيت الخالة...الجو ممطر قليلا وزجاج نافذة مقعد سامي مغطى بالقطرات، ينظر سامي من خلال النافذة ويستمتع إلى الموسيقى، يغوص في عالمه الخاص، عالمه الذي لا يعرفه أحد غيره. تتوقف السيارة

عند المنزل...تنزل سلوى متلهفة للقاء خالتها...
- خالتووووو

تحضنها وتسلم عليها ثم يأتي سامي ووالداه
ليسلموا على المرأة ويدخل الجميع إلى المنزل.
غدا عيد الميلاد لريم ابنة خالته وسيحتفلون
كلهم بها في جو عائلي مرح لطيف...على الأقل
هذا مانعرفه الآن. يلتحق الخال الأصغر وأبناؤه
محمد ويقين...

في الغد كان الأطفال يلعبون مع بعض وآباؤهم
يتأملون فيهم وعلى وجوههم ابتسامات فرح
وغبطة...سامي كعادته منعزل عن الجميع
جالس على أريكة قديمة يفضل الجلوس عليها
وطبعا مع حب قلبه الموسيقى...تأتي إليه بنت
في الخامسة تقريبا تلبس ثوبا أبيض تقول له
وهي تشده من يده:

- أيا نلعبو غميضة.

ينظر إليها باستغراب لأنه لم يرها في البيت...قد
تكون من بنات الجيران...إصرارها يدفعه دفعاً
لأن ينهض ويلعب معها...يسألها عن البقية
فتجيبه أنهم قد سبق واختبؤوا...تبدأ اللعبة...

يبدأ سامي العد، تتغير أرقام الساعة التي فوقه
كلها إلى رقم 5، "كوكات" يقول سامي بعد أن
ينهي العد...يفتح عينيه فيجد نفسه في مكان
غريب !!

طريق وسط غابة يكتسحه الضباب...وشخص
يبدو على دراجة، بل شخص يظهر أنه
يعرفه...ويا للدهشة..إنه يشاهد نفسه حين كان
على الدراجة وتوقف ليرى من يراقبه، يتلاشى
الضباب تماما فيرى البنت التي طلبت منه
اللعب معها، يحاول اللحاق بها فلا يستطيع...
يسمع صوت خالته..

- نوز نوز نوز نوز نوز نوز نوز
يستيقظ فيجد نفسه نائما فوق الأريكة، يسأل
خالته فتجيبه:

- كنت واقف تشوف فالحيط كي عيطلك شفت
فيا وجيت رقدت ديراكت

يستغرب ثم يتناسى ظنا منه أن التعب أثر
عليه..يذهب للمطبخ ليشرب كأس ماء فيسمع
صوت بكاء رضيع، ينادي خالته فتأتي..

- عندك بيبي ومقلتيلىش؟

- لا غي مزال مفطنتش...كيفاه يكون عندي

بيبي ومنقولكش هبلت؟

يضحك ثم يكمل شرب الماء...يعود إلى أريكته، إلى عزلته...وهو مستغرق في هاتفه...يلفت انتباهه رضيع نائم على الأريكة في يساره، يطيل النظر إليه وفي وجهه علامات الذهول ، تدور في رأسه عدة أفكار تقطعها له سلوى.

- سامي حزملي كوردوني.

فيلتفت إلى أخته وهو لا يزال مذهولا ثم يعيد النظر إلى مكان الرضيع فلا يجده !!

- ههههه خلعتك

تقول له أخته فينظر إليها ويربط حذاءها ثم ينهض ويخرج من البيت. يجلس في مقهى قريب شارد الذهن ناسيا كل ما حوله، حتى القهوة التي طلبها بردت...يرن الهاتف فيفيق من أفكاره ليجد الليل قد حل ، ناداه والده للعشاء. يدخل إلى المنزل وهو يفكر في ما يحدث معه...يجلس إلى مائدة الطعام حيث يكون الكل إلا الفتاة الصغيرة التي لعب معها الغميضة...يسأل عنها فيجيبه الكل بالنفي...

لم يأكل تلك الليلة...يذهب إلى مكانه ويغط في
سبات عميق. تغلق الخالة الباب على الخال
الصغير وتذهب إلى غرفة الجلوس لتنضمّ إلى الأم
والأب.

- مالكي تباني مقلقة.

الخالة موجهة كلامها للأم فتجيب:

- راها العاشرة ماموالفش يرقد بكري.

- نورمال ها راه عيان"

- يا ريت

تجيب الأم ثم تأخذ نفسا عميقا..

- أيا ومزال ماتقولوله ؟

ينفعل الأب

- ادي حمبوك خطينا

ينهض من مكانه ثم يكمل:

- متزيديش تجبديلي

ثم يخرج من الغرفة.

الساعة تشير إلى العاشرة...ينهض سامي من

نومه...يذهب ليغسل وجهه، لا يرى انعكاسه

على المرأة فيفزع فزعا شديدا ويسقط غير

مصدق يسمع صراخ أمه في الغرفة التي كان

نائماً فيها...يسرع إلى الغرفة فيجد خالته وأبيه
وأمه مجتمعين على مكانه.

- سامي ، نوض ولدي نوض.

أمه تكلمه.

- راني هنا وين نوض

يتقدم قليلا...يرى نفسه لا يزال نائماً في مكانه...
لا يتحمل فيسقط مغمياً عليه. ينهض فيجد
نفسه في تلك الطريق ويجد البنت التي تلبس
البياضَ أمامه، يحدثها:

- وين راني؟ شكون نتي؟

ترجع إلى الخلف لتقف أمام شجرة وتطلب
منه أن يلعب معها الغميضة من جديد.

جسد سامي ممدد في سرير في المستشفى مغمى
عليه وأمه تراقبه بقلق شديد. سامي خائف
لا يعرف ماذا يفعل...لا حل إلا بتلبية طلبها
ينهض من مكانه وهو يرتجف فيغمض عند
الشجرة. تمر يومان وسامي لا يزال في غيبوبته...
خالته معه لأن أمه مرضت.

- سامي كنا مخبيين عليك حاجة ، وهذا هو
الوقت باش نخبروك إذا راك تسمعني.

تكمل بصوت متقطع.

- أمك قبل ما تزيد نتا كانت بالكروش، فالشهر
الخامس عرفنا بلي بنت، بوك متقبلش الفكرة ،
فكرة يكون أول مولود له بنت وأصر على أمك
باش دير الإجهاض وبقا يزعف ويزقي حتى
شرات دوا وكلاته عندي فالدار ودفناها فواحد
البلاصة.

يفتح سامي عينيه وينظر إلى خالته...تقول
بدهشة:

- سامي نضت !!

تتغير ملامحه شيئاً فشيئاً ثم ينطق بصوت
غير صوته:

- نتوما بديتوها، نتوما تكملوها.

ثم يغمض عينيه ثم يفيق من جديد مذعورا،
تحاول الخالة إخفاء خوفها...

- سامي ولدي مكان والو غي مرضت شوية
دوك نعطو لماماك.

يدخل والداه فتجري أمه إليه بينما يمسك
والده نفسه بالقوة عن البكاء.

يعودون إلى بيت الخالة...كل شيء طبيعي بالنسبة

لسامي فقط لأنه نسي كل ما حدث ولم يريدوا
تذكره...حان موعد عودتهم إلى بيتهم...يجهز
سامي نفسه ويخرج إلى السيارة فيركب...سامي
هذه المرة في مقدمة السيارة بجانب والده
ووالدته وأخته الصغيرة نائمة في الخلف، كان
الليل قد حل والضباب يملأ الطريق ..

- سامي ولدي كايئة حاجة كنا باغين نقولوهالك
وملقيناش الفرصة.

يقول الأب...يستغرب سامي

- واه قولولي"

- قبل ماتزيد نتا بعامين ماماك كانت بالكرش

- كنت بنت فالشهر الخامس وفالعرف تاع

بوك عيب يزيد عندهم بنت فاللول.

- قررنا نجهضوها وكلات دوا وخرجنا البنت

ودفناها فواحد البلاصة ...

لم يكمل الأب كلامه حتى تصطدم السيارة بشيء

ما فينزل ليتفقد ليجد نفسه في طريق يعرفها،

إنها الطريق التي وجد سامي نفسه فيها

والطريق التي دفنت تحت شجرة من شجراتها

الرضيعة التي منعت من الحياة بسبب عرف

غبي...يلتفت إلى السيارة فيجد سامي واقفا
وخلفه فتاة صغيرة:

- نتوما بديتوها...نتوما تكملوها

يقولانها في نفس الوقت...يدرك والد سامي أن
ابنه لم يفق من الغيبوبة وأن البنت عادت
روحها لتتقم منهم...يعود مسرعا إلى سيارته فلا
يجد ابنه بينما يرى زوجته في حالة صعبة
كانها تستعد للولادة...يفزع الرجل، من النافذة
الأخرى يرى ذات الثوب الأبيض ثم يسمع
صوت سامي:

- بويا بويا..

يجد نفسه واقفا وأسرته في السيارة لم يحدث
لها شيء...تنزل زوجته...يطلب منها العودة فلا
تصغي إليه ثم تقترب منه:

- نشوفو وين دفناها..

يطلب من سامي إغلاق السيارة والانتظار
داخلها...يذهب الوالدان ليحفرا مكان الدفن.
لكن وللغربة يجدان الخالة مدفونة مكان
ابنتهما !!!...تصرخ الأم صرخة مدوية وتخرج
جسد أختها ثم تنظر إلى زوجها.

يقف الأب متصلباً لا يعرف ما يجب فعله...
تظهر ذات الثوب الأبيض من جديد فينادي
عليها:

- بنتي أرواحي عندي...بنتي سمحيلي ندمت..
تبدأ قطرات المطر مع الدموع التي بدأت
تملئُ بها عيناهُ...تختفي البنت وتختفي الزوجة
والخالة وتظهر أمامه رضيعة صغيرة ميتة
فيحملها ويحتضنها ويكي بشدة...كان نحيبه
يسمع من بعيد.

تخرج الأم من السيارة لتبحث عن زوجها
الذي اختفى بين الأشجار منذ خروجه من
السيارة بينما تطلب من سامي الذي لا يفهم
شيئاً مما يحدث أن يراقب أخته سلوى..تصل
إلى القبر فتري زوجها يدفن ابنته التي أجهضت
فتحاول منعه لكنه لا يلتفت لها...تسقط باكية.
- سمحيليييييي بنتي سمحيلي..

ثم تستيقظ على صوت زوجها الذي يخفي
دهشته

- كنتي جاية كي شفّيني تغاشيتي..

- كتلناها بيدينا والله ماحق علينا..

يجيب الزوج وهو يبكي منها

- لو كان نصيب نرد الوقت ونخلوها تعيش
بنتنا ويلعن بو الأعراف..

تظهر سلوى ومعها ذات الرداء الأبيض ماسكتين
أيدي بعضهما البعض... تقول لهما سلوى
- ختي سمحتلكم..

يتلاشى الضباب وتشرق الشمس... يتعانق الرجل
وزوجته ويقسمان أن يحاولا منع الإجهاض بكل
الطرق... يعودان إلى السيارة ليجدا سامي وأخته
الصغرى نائمين... يركبان السيارة وينطلقان إلى
البيت... يستيقظ سامي:

- وين رانا؟

يجيبه والده:

- رانا قراب نوصلو ولدي.

- او كي تسمّا كي نوصلو نوضوني
يقول سامي ثم يعود إلى نومه.

في بيت الخالة، كانت المرأة تحضر الغداء بينما
البنات التي تلبس البياض واقفة عند الباب
تنظر إليها ...

نهاية

انتظر خروج والديه بفارغ الصبر، الساعة
الواحدة ظهرا، مرت ساعات تفكيره ببطء، ثم
اتخذ قراره، نعم سيفعلها.

وقف أمام النافذة يراقب غروب الشمس،
قام من مكانه وهو متردد، ذهب إلى المطبخ،
سخّن قليلاً من الماء على إناء حديدي، انتظر
عدة دقائق وفي وجهه علامات التردد والخوف
بارزة، لكن ليس له خيار، سخّن الماء فحمل
الإناء وسكبه كاملاً في المرحاض، أغلق الباب
ثم جلس في غرفته ينتظر، صوت باب المرحاض
يُفتح، نبضات قلبه ترتفع وتندفع من جبينه
حبات عرق باردة، رأى رجلين لشخص واقف
أمامه، لم يتجرأ أن يرفع رأسه، ثم سمع الصوت
"حانت نهايتك" "انتظر... لي طلب" "أنظر إلي"
العرق يتصبّب ودقات القلب في ازدياد... رفع
رأسه ببطء، لا يوجد شيء، سمع صوتا داخله
"أسكب قليلا من دمائك في المرحاض وسألبي

طلبك" نهض مسرعاً إلى المطبخ دون تردد،
انقلب خوفه إلى خبث وارتسمت على وجهه
ابتسامة مأكرة أظهرت أضراسه، حمل سكيناً
حاداً وذهب إلى المرحاض، شق بها راحة يده
وترك الدماء تعبر، بعد لحظات أغمي عليه.
استيقظ في المستشفى بين والديه، أغمي عليه
مجدداً، بعد ساعات استيقظ، لا أحد معه في
الغرفة، نهض بصعوبة من مكانه، خسر دماً
كثيراً..المستشفى فارغ...سمع الصوت من جديد
"لن تعود مجدداً"

آخر نفس

استيقظت باكرا على غير عادتها.. لبست ثيابها...
شربت قهوتها المرة ببطء أمام نار المدفأة...
ركبت سيارتها... شغلت المحرك... وضعت يديها على
عجلة القيادة... مرت دقائق وهي غائبة في عالمها
الخاص... أفاقت والدموع متحجرة في عينيها...
مسحت دموعها وانطلقت وسط الضباب... ترى
الطريق بصعوبة لكنها عرفت وجهتها... وصلت إلى
حافة جبل تؤنسه وحدته أمواج البحر تضطرب
لتعزف ألحانا غاضبة... توقفت ونزلت تاركة
المكبح اليدوي مرفوعا... دفعت السيارة ببطء إلى
أن سقطت... بعد دقائق قليلة جلست على شاطئ
قريب تراقب سيارتها الغارقة... تغرب الشمس...
تراقبها والدموع التي لا تتوقف تغسل وجنتيها
المحمرتين من البرد الشديد والرياح تعصف
بشعرها الذهبي... ظهر القمر بدرًا ينير الشاطئ...
أحسّت بقدم أحدهم... جلس خلفها... لم تلتفت
له... قال لها: "أنت جاهزة؟"... أخذت نفسا عميقا
ثم أغمضت عينيها "نعم..".

وجدان

بعد عناء طويل أستلمُ الموافقةً على الخروج في عطلة لشهرين، أكتوبر ونوفمبر، وهما الشهران المفضلان عندي، سأتفرغ في هذه الفترة لأمارس هوايتي المفضلة، التصوير وزيارة الكنائس القديمة، وضعتُ لائحة للكنائس التي أزورها ليلاً ثم خلدت إلى النوم، مع شروق الشمس كنت أضع أمتعتي في صندوق سيارتي، انطلقت نحو الكنيسة الأولى "كنيسة القديس جورج"، بعد ساعتين كنت واقفاً عند بابها أتأمل جمال معمارها البيزنطي، أخذت العديد من الصور بكاميرتي من كل الزوايا الخارجية، ثم طرقت الباب الرئيسي ، فتح الباب ببطء، ظهرت خلفه إحدى الراهبات، سمعت صوتاً جميلاً بدا كأنه نشيد، عرفت أنهم يقومون بإحدى طقوسهم، دعنتني للدخول فدخلت وجلست على كرسي كان يمين الباب، أكملوا طقوسهم، جاءني قس الكنيسة فاستقبلني وعرض علي جولة في الكنيسة، كان

يشرح لي تاريخها ونحن نجول في أنحائها وكنت
أصور كل شيء، قضيت الليلة في فندق يبعد عن
الكنيسة بحوالي كيلومترين.

زرت الكنائس الأربع، امتلأت ثلاث بطاقات ذاكرة
وحمدتُ الله مبتسماً أنني أحضرتُ معي الرابعة
احتياطاً، لم تتبقَّ إلا الكنيسة الخامسة والأخيرة
"كنيسة الوجدان"، متواجدة في غابة تكاد تكون
مظلمة تماماً لكثافة أشجارها، تتبعت الخريطة
حتى وصلت إليها، كنيسة ذات طراز معماري
قديم تتوسط الغابة تبدو وكأنها من العصور
المظلمة لكن عمرها لا يتجاوز الثلاثين، بابها
فولاذي عملاق، لمحت بعض القبور القديمة
خلفها عند استكشافي المكان، شعور ما بالخوف
تسلل إلى قلبي لكنني سرعان ما سيطرت عليه
كانت العاشرة صباحاً وكان الجو ملائماً لالتقاط
بعض الصور، لكن حدث شيء غريب، كلما
حاولت تصوير القبور كانت الكاميرا لا تستجيب،
ظننته خللاً تقنياً، أطفأتها ووضعتها في حقبتي
لأصلحها عند عودتي إلى البيت.

طرقتُ باب الكنيسة ثلاث مرات في الرابعة فتح

الباب، شيخ هرمٌ قصيرُ القامة، ملأت التجاعيد وجهه كتضاريس خريطة وعلت رأسه كومة من الحرير الأبيض الذي تتخلله فراغات كأنها أودية جافة، تدلّت من عنقه سلسلة من فضة عليها صليب، أشار إليّ بالدخول فدخلت.

دهشت لما رأيته، طلاء الجدران أسود مرسومة عليها رموز صليبية وكلمات باللاتينية لم أستطع فهمها، تتوسط القاعة الكبيرة كراسٍ سوداء موضوعة بدقة بشكل نصف دائري على أرض إسمنتية رمادية، في مقدمتها آلة أورغ عريقة يصل بينها وبين مدخل الكنيسة خط أبيض عريض وخلفها تقبّع نافذتان عملاقتان مثلثتا الشكل كفيلتان بإضاءة الكنيسة بأكملها، في وسطهما باب طويل مستطيل الشكل ملتصق فيه صليب زجاجي يعكس نورَ الشمس إلى سقف الكنيسة فيرتسم عليها انعكاسه، أسرعته إلى حقيبتني وأخرجت كاميرتي ناسياً أنها تعطلت، اشتغلت بصفة عادية، سمعت ألحانا قلقة ومريحة في الوقت نفسه تتسلل من الأورغ، التفتت فوجدت العجوز يعزف عليها، بهرت

بعزفه المتقن رغم كبر سنه فأخذت أصوره.
فتحت أبواب ملتصقة في الجدران اليسرى
للكنيسة لم تظهر لي قبلا، خرج منها أشخاص
من كل الأجناس والأعمار يلبسون الأبيض،
جلسوا بانتظام على الكراسي، فتح الباب الطويل
وانطلقت معه أصوات إنشاد ودمدمة أنثوية لم
أستطع تحديد مصدرها، كادت عينيائي تنفجران
من الدهشة عندما رأيت ذلك الكيان طويل
القامة يخرج مغطى برداء أسود، تقدم بضع
خطوات وبدأ يتحرك بحركات غريبة تشبه
تمايل سكير تعتعه الشرّب، وقف وسط القاعة
ثم استقام ومد يده الطويلتين، ارتفعت أصوات
آلة الأورغ والدمدمة، فجأة ساد ظلام وسكون
رهيبين، زارني رعب شديد فأنرت مصباحي اليدوي
كي أخفف منها قليلاً، لا أثر لما رأيته قبل ثوان،
بدت الكنيسة مهجورة كأن أحداً لم يدخلها، كان
الشيء الوحيد المتبقي هو آلة الأورغ التي بدت
أنها هنا منذ عصور، الباب والنوافذ العملاقة
مكسورة، لم أستطع فهم ما حدث، هل كنت
أحلم؟

خرجت فإذا بالليل قد أسدل ستاره، لم أعرف ما أفعل، كان الجو شديد البرودة وممطر، عدت إلى سيارتي المركونة بجوار الطريق خارج الغابة بصعوبة، كان الوقود قد نفذ منها، لم أجد خياراً سوى قضاء الليلة فيها.

أيقظني صباحاً بوق شاحنة مارة، توقفت الأمطار لكن الجو لا يزال بارداً، بحثت عن حقيبتني فلم أجدها، تذكرت أنني وضعتها بجانب الآلة الموسيقية حين دخلت، إذأً فذلك لم يكن حلمًا؟ كاميرتي موضوعة في المقعد بجانبني، لم أتذكر أنني وضعتها هناك، حملتها وتصفحتم الصور التي التقطتها فكانت المفاجأة غير سارة، وجدت صورة لقبر من القبور تجلس على شاهده امرأة ترتدي لباس العروس وشعرها الأسود المتدلي على كتفيها يغطي وجهها، توقفت للحظة ثم سألت نفسي "هل أعود لأكشف لغز هذا المكان؟ أم أعود لأسترجع حقيبتني ولا أفكر في هذا المكان مجدداً؟ أم أستسلم وأترك حقيبتني بما فيها وأغادر؟".

بعد ساعة من الصراع مع نفسي قررت

الرجوع وكشف لغز الكنيسة، كنت أتضور
جوعاً وعطشاً، كنت وضعت بعض الخبز
والماء على المقعد الخلفي، أكلت قليلاً ثم
بعد تردد انطلقت عائداً وجدت الكنيسة
كما هي والقبور بجانبها، لم يتغير شيء، حمثُ
حول الكنيسة، وجدت نافذة صغيرة في الجانب
الأيمن لم أرها عند دخولي تطل على داخل
الكنيسة، نظرت من خلالها، كل شيء في مكانه
كما رأيته عند دخولي أمس، انتابني شعور
غريب، شككت في نفسي، شتت تفكيري ظهور
تلك المرأة التي رأيته في الصورة، لباس زفافها
الذي يجلب الأنظار، دون شعور وجدت نفسي
أتبعها، وصلت عند بئر مهجور وتوقفت ثم
نظرت إلى السماء، تحول فجأة لونها إلى الأسود
وسقطت، أسرعت إليها، نظرت إليّ نظرة جعلتني
أحس أنها تعرفني، ثم أغمضت عينيها ببطء،
تحولت بين يديّ إلى رماد، تطاير في الهواء،
توقف بي الزمن، أحسست أن روعي تخرج من
جسدي، وجدت نفسي داخل الكنيسة جالس
على كرسي أنظر إلى تلك المرأة وهي تنشد،

صوتها عذب كصوت تدفق شلال طبيعي.
لم أستطع التحرك، أحسست كأن أحدا يشدني،
حاولت النهوض بكل ما أتيت من قوة، ظهر
ذلك الكيان الأسود أمامي، رفع بيده رأسي كي
أنظر إليه.

وجدت نفسي أنظر إلى سقف الكنيسة وأصوات
ألحان وأهازيج يعم المكان، أجلس على الكرسي
نفسه، حاولت القيام من مكاني ولم أستطع،
حضور غفير، الزينة تملأ المكان، عرفت أنه
حفل زفاف، فتح باب الكنيسة، تدخل تلك
المرأة في زيّها الأبيض، تتقدم بخطوات بطيئة
وسط أنغام آلة الأورغ، وجهها محمر من
الخجل، الزوج ينتظر في المقدمة برفقة الأسقف
الذي بدا لي مألوفاً، نعم هو ذلك الكيان
لكن بصفة أصغر من الصفة التي رأيته بها
من قبل، يقف الزوجان أمام بعضهما، تتم
الطقوس، يعم سكون رهيب، يخيم ظلام كسره
القليل من ضوء الشموع المعلقة على الجدران،
صوت بكاء، أمعنت النظر فرأيت أحدا جالسا
في المقدمة، تحررت من مكاني، ببطئ سرت

إليه، هو الزوج الذي رأيته قبل قليل، جالس
بيكي وبين يديه صورة لزوجته ملأتها الدموع،
يُفتح الباب الكبير ويخرج الكيان، يشير إليه
بيده فيُرفع من مكانه، تدوي صرخة من باب
الكنيسة "أتركه وخذني أنا".

استيقظت بجانب القبر، جدران الكنيسة تملؤها
الدماء وعلى بابها صليب مقلوب فوقه مكتوبة
بالانجليزية عبارة "هنا معبد المُخلص" بالدم ،
عادت أصوات حفل الزفاف من الداخل، خرج
العروسان تغمرهما السعادة، مشيا قليلاً بجانب
القبور ثم توقف الزوج وتغيرت ملامحه إلى
ملامح ذعر وخوف وهو ينظر إلى ذلك القبر
حتى أتت زوجته قلقة عليه "هل أنت بخير؟"
"نعم مجرد ذكرى سيئة"، ثم ذهباً، نظرت إلى
شاهد القبر، خارت قواي وسقطت، كانت عبارة
تعزية مكتوبة عليه، وصاحب القبر هو.. أنا..